المدى ، وكانت آثارها المعنوية تفوق أحداثها المادية بكثير . أما الثورة النهلستية فقد استطالت نحو أربعين عاماً ؛ تضطرم آنا وتخبو آنا ، ولكنها لبثت داعاً تلتهم فرائسها من الجانبين . هذا إلى أن نزعة الكفاح في الحركة الثورية الروسية كانت أعرق أصولاً وأبعد مدى . وبينما نرى الثورة الفرنسية تستسلم بعد أعوام قلائل إلى الحركة العسكرية الرجعية وتغدو أداة ذلولا في يد جندي طموح هو نابليون ، إذا بالحركة الثورية الروسية تمضي في طريقها برغم كل مقاومة حتى تفوز بتحقيق كل مثلها وغاياتها . بيد أنه كان ظفرا سلبيا فقط ، وكان ظفراً قصير المدى ؛ فقد مهدت الحركة النهلستية كما قدمنا إلى الانقلاب العظيم الذي درج زعماؤه وقادته في غمارها وتغذت عقولهم وأرواحهم بتعاليمها ومثلها ، وكان ظفر الثورة البلشفية كاملا شاملا ، ولكن شتان بين تلك المثل الحرة الاصلاحية التي نشدها النهلستية ، وبين ذلك الهدم الشامل الذي انحدرت اليه ليه الثورة البلشفية . أجل سقطت القيصرية صرعى المثل الجديدة أعلنت سيادة الشعب أو الكتلة العامة في عبارات ضخمة ، نودي بالحريات والحقوق العامة ، واستطاعت الثورة الجديدة أن تحتفظ بانتصارها الظافر مدى حين كان شعارها فيه مكافحة الخطر الخارجي ؛ ولكنها ما كادت تثبت أقدامها حتى استحالت بسرعة لى نوع جديد من الطغيان لا يقل في أساليه ووسائله فظاعة ن أساليب القيصرية ووسائلها ؛ ولم تلبث أن غدت سيادة شعب اسماً بلا مسمى ؛ واستطاعت الزعامة الجديدة أن تفرض لطانها المطلق على ذلك العالم الروسي القديم الذي كان يطمح إلى الم جديد من النور والحريات المثلى ؛ وانتهت الثورة التحريرية د كفاح طويل إلى تلك النتيجة المحزنة التي أشرنا إليها في فاتحة ذا البحث . ذلك أن النظم التي تسود روسيا الآن باسم البلشفية ست في الواقع إلا صورة من أشنع صور الطغيان الدموي التي رفها التاريخ (١)

(تم البحث — النقل ممنوع)

محمد عبد الله عنان

(١) رجعنا في كتابة هذا البحث إلى تاريخ روسيا لرامبو (بالفرنسية) إلى دائرة المعارف الفرنسية وكتاب Soukhomline عن القضايا الشهيرة روسيا (بالفرنسية) وإلى كتابنا « تاريخ الجمعيات السرية »

في تاريخ الأدب المصري

ابن الصيرفي

أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي

مات بعد سنة ٥٤٢

للأستاذ محمد كرد علي

كان ابن الصيرفي من كتاب الدولة الفاطمية ، ومن عظماء المنشئين والمؤلفين من المصريين في عهده ؛ جزل حظه من البلاغة والشعر والخط الجميل ، وأخذ صناعة الترسل عن ساعد بن مفرج صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه إلى ديوان الانشاء وبه الحسين الزبدي ثم تفرد بالديوان . ولابن الصيرفي تصانيف تجعله فوق أقدار رؤساء الدواوين وكتاب الملوك والسلاطين ، ومنها في الأدب والتاريخ والترسل كتاب « عمدة المحادثة » و « عقائل الفضائل » و « استنزال الرحمة » و « منائح القرائح » و « رد المظالم » و « لمح الملح » ومنها « الاشارة إلى من نال الوزارة » و « قانون ديوان الرسائل » وهذان الكتابان مطبوعان . وله غير ذلك من التصانيف منها اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج وأبي العلاء المعري وغيرهما . وله شعر جيد لكنه اشتهر بالكتابة . وقد ضمن كتابه الاشارة إلى من نال الوزارة ذكر من تقدم من سفراء الدولة ووزرائها وسلاطينها ، ولم ير أن يتوسع في إشباع الموضوع قائلاً : « إذا كان الاستقصاء لا يليق بكل تصنيف لا سيما إذا خدم به سلطان ينفق أوقاته في تدبير دولة وإقامة سنة واستضافة مملكة ، وإذا بقيت من زمانه فضلة استعجل بها جزءاً من الراحة ، يستعين به على ما يستأنفه من مهماته » بدأه بترجمة الوزير ابن كلس الآمري وإليه أهدى كتابه . وفي هذا الكتاب مثال واضح من سوء إدارة الفاطميين أخريات أيامهم ، وما توسعوا فيه من الألقاب ، وما أولعوا فيه من المصادرات ، وما كان لهم وعليهم . وكان من لوازم الدعاء الذي يستعمله ابن الصيرفي في كل سجل ورسالة وتقليد وكتاب ، بل يستعمله الاسماعيلية الفاطميون عامة أن يقال بعد الصلاة على النبي

(وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على ابن أبي طالب)

وذكر في مقدمة قانون الرسائل ما ننقله بحرفه : « ولما رأيت أولى الفطر الصحيحة ، والعقول الرجيحة ، قد سبقوا إلى النظر فى سائر العلوم ، ووضعوا فيها المصنفات ، ونظموا ذكرها فى الكتب المؤلفات ، ثم انتقلوا عن ذلك إلى قوانين الأشياء فقرروا فى كل منها ما كان أصلاً يعتمد عليه ، ونهوا عما كان فساداً لنظامها أو أدى إليه ، وخالفوا بين أحكام تلك التصنيفات لاختلاف الأزمنة وتباين البلاد والأوقات ، فوجدتهم قد صنفوا فى كتابة الخراج كتباً كثيرة ، وعُنوا بكتابة الجيش عناية كبيرة ، فألف كل من العراقيين والمصريين فى ذلك ما وصلت إليه طاقته واقتضاه ما أوجبه وقته والبلد الذى يحتله . فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه ، فقد أكثر كل منهم فيه المقال ، وتوسع فى تصنيفه وأطال ، ورأيتهم أهملوا الكلام فى الكتابة الجليلة قدراً ، النبيهة ذكراً ، الرفيعة شأناً ، العلية مكاناً ، التى هي كتابة حضرة الملك المشتملة على الانشاء إلى ملوك الدول ، والكتابة عنه إلى من قلّ من الأمم وجلّ ، وكيف يجب أن يكون متوليها وما يخصه من الأخلاق والأدوات ، وما يجب أن يكون فيه من الفضائل ، وأن يجتنبه من القبائح والرذائل ، وكيف ينبغي أن تكون أمور أتباعه ومعينيه ، وأى الحالات ينبغي أن يكون عليها ديوانه الذى يتولاه وينظر فيه »

وكتاب قانون ديوان الرسائل درة نفيسة قدمه إلى الأفضل ابن أمير الجيوش وقال : « يجب أن يكون هذا الكتاب مخلداً فى ديوان الرسائل يقتدى به كل من يخدم فيه ، ويستضيء بهدايته ويحتذى أمثلته وأن يؤخذ المستخدمون فى الديوان بفهمه وبحفظه » ثم قال : « ثم ينتفع بهذا الكتاب إذا جعل بحيث استقر مخزوناً بديوان الرسائل للقراءة فيه وتدبره كل من تصفحه أو يعمل بمقتضاه على مرور السنين وكرور الأحقاب والأعوام ، فيكون كالمعلم لهم ، والمهذب لأخلاقهم ، والهادى لهم إلى سنن الصواب الذى قد درست معالمه وتنوسيت أحكامه »

ومما رأى أن يكون رئيس الديوان من المسلمين « ومع ذلك فيجب أن يكون متمذهباً بالمذهب الذى عليه الملك ليكون أتقى جيباً وأنصح غيباً ، فان المسلمين وإن جمعتهم كلمة الاسلام ، فقد اختص كل واحد منهم بمذهب يباين به بعضهم بعضاً ، حتى حدث بذلك بينهم من التباعد والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشركين »

وعاد فأكد هذا المعنى فى موضع آخر من أن الكاتب ينبغي أن يكون على دين الملك ومذهبه لكونه يكاتب الملوك المخالفة ملتهم ملة ملكه ، وربما احتاج فى مكاتباته إلى تفخيم ملة ملكه والاحتجاج لها وإقامة الدلائل على صحتها ، ولن يحتج لملة من اعتقد خلافها ، بل المخالف للملة إنما يبدو له مواضع الطعن ومواضع الحجاج ، فان اعترض معترض بالمعانى وأنه كان يكتب عن ملوك مسلمين وهو على غير ملتهم ، فالجواب أنه كان من أهل ملة قليل أهلها ، ليس لهم ذكر ولا مملكة ، ولا لهم دولة قائمة ، ولا منهم محارب لأهل الاسلام ، ولا من يكاتب ويكاتب ، ولا من يخشى من الكاتب الميل إليه ، والانحراف معه . ثم إن المشهور من أحوال ذلك الكاتب أنه كان قد حفظ من ملة الاسلام وسنتها مما يحتاج إليه فى كتابته مالا يوجد عند كثير من المسلمين فى زمانه ، وكان فى صناعته الغاية فى وقته فقادت ملوك عصره الضرورة إليه إذ لم يجدوا من المسلمين من يغنى غناءه ولا يسد مسده »

قال : « ومما يحتاج أن يفهمه هذا الكاتب أن يعرف الفرق بين مخاطبة الملوك الاسلامية وبين مخاطبة الملوك المخالفين للملة واللسان لأن مخاطبة من يتكلم باللسان العربى مشهورة المقاصد معروفة الطرائق يستعمل فيها الأسجاع وتنميق الألفاظ وتحسينها وزخرفتها وترتيبها مع ضبط المعنى وحسن التأليف . وأما مكاتبة المخالفين للسان فإنه لا ينبغى أن يهتم فيها بالألفاظ المسجوعة ، ولا ضرب الأمثال والتشبيهات والاستعارات ، فإن ذلك إنما يستحسن مادام مفهوماً فى تلك اللغة وغير منقول إلى غيرها ، وأكثر هذه الضروب إذا نقلت من لغة إلى لغة فسدت معانيها ، وعاد حسنها قبيحاً ؛ ومنها مالا يفهم بعد نقله بتة ؛ ومنها ما إن فهم له معنى كان غير ما قصد ، لا سيما إن كان الناقل لها مقصراً فى اللغتين المنقول منها والمنقول إليها . وأرى أن الأفضل فى هذا الباب أن يتولى هذا الكاتب نقل ما يكاتب به إن كان عارفاً بها فينقل يكتب به ويكتبه بخط أهل تلك اللغة ولسانهم ، إما فى ذيل الكتاب أو فى كتاب طيه ، لأنه قد لا يجد الملك الذى يصير إليه الكتاب ناقلاً ماهراً عالماً باللغتين ، فربما أفسد الناقل المعنى فعاد الكتاب المصلح مفسداً فيبطل الغرض الذى قصد به . وهذا باب يجب صرف العناية إليه جداً ، وليس يحتاج فى مكاتبة أهل

نات المخالفة بنير المعانى السديدة البريئة من الاستعارات ، كتابات الصائبة لمواضع الحجج التى تبقى جزاتها ونضارة معانيها جتها مع النقل والترجمة . »

وذكر فصلاً فى عمل من يستخدم خازناً لديوان الرسائل فقال : بنى أن يؤخذ بجعل كل شىء من الرسائل مع شبهه ، وجعل كل ة على حدتها ، ويجعل لكل شهر إضبارة ، ولكل صفقة من عمال إضبارة وعليها بطاقة فى مضمونها » قال: «وينبغى لهذا الخازن يحتفظ بجميع ما فى هذا الديوان من الكتب الواردة ، وينسخ كتب الصادرة والتذاكير وخرائط المهمات ، وضرائب الرسوم برذلك ممافيه ـ احتفاظاً شديداً ، ويكون بالغاً فى الأمانة والثقة الحد الذى لا مزيد عليه ، فإن زمام كل شىء بيده ؛ ومتى كان ى الأمانة أمالته الرشوة إلى اخراج شئ من المكاتبات من وان ، وتسليمه إلى من يكون عليه فيه ضرر أو لمن يأخذه . وهذا أمر متى اعتمده الخازن أضر بالدولة ضرراً كثيراً حيث لا يعلم الملك ولا أحد . ومن أحسن ما سمعته فى أمانة ن ماروا ه على بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة فى كتابه وف بجواب المعتز فى الخراج من أنه كانت تجمع الأعمال سابات بالعراق بعد كل ثلاث سنين إلى خزانة تعرف بالخزانة بى ، وكان يتولى فى وقته ذلك رجل يعرف بمحمد بن سليمان تاجار ، وكان شديد الأمانة بالغاً فيها إلى المبلغ الأقصى ، وكان ه كل شهر خمسمائة درهم تكون بخمسين ديناراً من صرفهم ذلك ؛ ن لهذا الخازن خازن بعينه يقال له إبراهيم ، فحدث إبراهيم أن لقيه فى بعض طرقه من أسباب أبى الوليد أحمد بن أبى دؤاد له : هل لك فى الغنى بقية عمرك وأعمار عقبك من بعدك من لا يضرك ؟ فقال : هذا لا يكون . فقال : بلى ، فى خزانتك فى قراطيس أعرف موضعه من بعض الخزائن من رفوفها ، لك أن تنقله من ذلك الرف إلى رف غيره ولا تخرجه ولا تغيره ل إليك مائة ألف درهم وأعطيك كتاب ضيعة تغل لك كل الف دينار وتخرج عن الديوان . قال : فارتعد من هول مه وقال : ليس يمكننى فى هذا شئ إلا بأمر صاحبي ، فقال فاعرض ذلك على صاحبك واجعل هذا الشئ له ونجعل لك آخر . فعرف محمد بن سليمان الخازن صاحبه بالخبر ، وكان فى منزله آخر نهار ، فقال له : ماذا قلت للرجل ؟ قال : قلت له إنى أستأمرك ، فأمر ابناً له وابن أخ بالتوكيل به ، فلم يفارقاه طول ليلته ، فلما أصبح صار معه إلى الديوان فوقفه على الدفتر ، فأخذه محمد بن سليمان الخازن وحمله فى قبائه ولم يزل يترقب على بن حسين صاحب الديوان حتى حضر ، فلما حضر صار إليه ، وكان أبو الوليد فى حبسه فقص عليه القصة ، ودفع اليه الدفتر فنظر فيه فوجده نسخة كتاب من بعض النظار بما وقف عليه من فضل ما بين القوانين التى كانت تلزم ضياع احمد بن أبى دؤاد وبين ما يلزمها على معاملة العامة لجميع السنين ، وأن جملته أكثر من ثلاثين ألف ألف درهم (ثلاثة ملايين دينار) فأحضر على بن عيسى أبا الوليد وأسمعه كل غليظ على جلالة رتبته ، وأمر بأخذ قلنسوته وأن يضرب بها رأسه ويطالب بالمال . فلولا أمانة هذا الخازن ، ونزاهة نفسه وصدفها عن المال الذى بذل له مع كثرته لرغبفيه ، ولرأى أن لا شىء عليه فى نقل دفتر من مكان إلى مكان ، وهو فى الخزانة لم يبرح منها ، فيتوجه عليه بذلك ضرر ، ولا خرج من يده فيظهر فى يد غيره ، ولا يعرف موضعه فيطلبه منه ، ورأى وجوه السلامة واضحة ، ونيل الغنى قريباً فكان يضيع على هذا السلطان ذلك المبلغ الكثير من المال »

محمد كرد على

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

وهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله، وشخصيته العجيبة ، وحياته الدهشة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ، وعن أسرار الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة

مجلد فى نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع أجود طبع ومزين بالصور التاريخية

ثمنه ٢٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج

ويطلب من المؤلف بعنوانه بشارع الفجالة نمرة ٢١ والمكتبة التجارية ومكتبة النهضة بشارع المدابغ وسائر المكاتب الأخرى